طريق عمّاوس: لقاء ومحبّة وصيرورة (لو ٢٤: ١٣-٣٥)

الأخت كليمنص حلو[١]
باحثة في الكتاب المقدّس

محبّة الله ومحبّة القريب تتلازمان في قصّة تلميذي عمّاوس التي انفرد بها القدّيس لوقا في إنجيله، مع صدىً في مرقس (مر ١٦: ١٢-١٣). هذا الظهور بعد القيامة يجسّد تدريجيًّا محبّة الله، بدءًا من مبادرة يسوع إلى لقاء التلميذين البائسين، وتفسيره لهما "جميع الكتُب المقدّسة"، و"إشعال قلبهما" بمحبّته. وهما لم "يعرفاه"، إلاّ عند اكتمال الحبّ في حميميّة العشاء "وكسر الخبز". حينئذٍ "رأوه كما هو" (١ يو ٣: ٢) بعد أن تحجّجا أنّ "النساء والرفاق "ما رأوه" (٢٤: ٢٤) أمام القبر الفارغ. وهذه المحبّة تتجاوز وطأة الحدث عن انتصار المسيح، وإقامة الرجاء والفرح في قلبيهما. إنّهما اندفعا راجعَين إلى أورشليم للقاء جماعة الإخوة الذين استبقوهم ببشرى حقيقة القيامة. وأضاف التلميذان عليهم "خبر ما حدث في الطريق، وكيف عرفَا الربّ عند كسر الخبز". هذا الحبّ الفائض لا بدّ أن يتدفّق على الآخرين، فيشارك به الجميع.

سنحاول أن نتساءل عن إمكانيّة التأريخ في القيامة، ثمّ نشرح "المراحل السبعة في طريق عمّاوس". وأخيرًا نتفهّم أنّ قصد القيامة هو نحن كي تصبح وجودًا في حياتنا ودعوة لأنْ نحيا حياة جديدة مع الله ومع القريب.

كُتب إنجيل لوقا حوالى سنة ٨٥ (أكثر أو أقل من ٥ إلى ١٠ سنوات). إنّه

(١) حائزة على دكتورا بالفلسفة وأخرى بتاريخ الأديان- والإناسة الفلسفيّة (أنتروبولوجيا) من السوربون وهذه الأخيرة مقرونة بدكتورا بالعلم اللاهوتيّ من المعهد الكاثوليكيّ العالي في باريس.

قد كان في البدء متّصلاً بأعمال الرسل في جزءين يؤلّفان أكثر من ربع العهد الجديد، ويجمعان بين حياة يسوع وتاريخ الكنيسة الأولى. وقد يكون الإنجيل قد انفصل عن أعمال الرسل في القرن الثاني[٢]. يتموضع إنجيل لوقا لاهوتيًّا في نصف الطريق بين مرقس، متّى، ويوحنّا. وفي لوقا تبرز ظاهرتان أكثر من بقيّة الأناجيل: أهمّيّة **فنّ القصّة** التي تصبح جزءًا لا يتجزّأ من لاهوت لوقا، والتركيز على **أورشليم** منذ بداية الظهور في هيكل أورشليم لزكريّا، والصعود إلى أورشليم في مسيرة مصمَّمة، "قسّى فيها قلبه"، نحو حدث موت يسوع وقيامته (٩: ٥١ – ٢١: ٣٨)، مرورًا بالرسالة في أورشليم وبأعمال يسوع في المجمع (١٩) وبعدها العشاء السرّيّ والآلام والموت والدفن (٢٢–٢٣). وفي الفصل الأخير من إنجيل لوقا تتمّ ظهورات يسوع بعد القيامة في منطقة أورشليم ابتداءً من المدينة التي ترمز إلى اليهوديّة وتختصر تاريخها.

أوّلاً: ما هي إمكانيّة التأريخ في ظهورات يسوع القائم من الموت؟

يقدّم متّى ظهورين (مت ٢٨)، ويوحنّا أربعة: ثلاثة في أورشليم والأخيرة في الجليل (يو ٢٠–٢١)، ومرقس، ثلاث ظهورات بعد نهاية إنجيله (مر ١٦: ٩) ويرجّح أن تكون هذه النهاية مستلهمة من الأناجيل الأُخرى. أمّا لوقا فيذكر ثلاث ظهورات (لو ٢٤)، يعنينا منها الظهور النصفيّ للتلميذين على طريق أورشليم نحو عمّاوس مع الخيبة والحزن، ثمّ العودة الفَرِحَة إلى أورشليم.

انطلاقًا من هذا التباين في سرد الأناجيل الأربعة، من الصعب أن نضع تأريخًا عاديًّا لظهورات يسوع. وهذا التأريخ لم يكن هدفهم. إنّهم يعرضون ذكريات مبعثرة، دون صلات مع بعضها. ومنها ما يطرح تساؤلاً:

كيف أمكن لوقا أن يجمع في يوم واحد حدث القيامة، والظهور لتلميذي عمّاوس وللأحد عشر ورفاقهم، والصعود انطلاقًا من "بيت عنيا"؟ ثم يرجعان

(2) Daniel MARGUERAT, « L'unité de Luc-Actes. Un travail de lecture », *La première histoire du christianisme Les Actes des Apôtres*, Paris, Genève, Cerf, 1999.

إلى أورشليم ليلاً للقاء الإخوة في الهيكل "بفرح عظيم"؟ وكثير غيرها من الأمثلة في تاريخ الصعود وحلول الروح...

ليس التأريخ بحدّ ذاته هو ما يبغيه الإنجيليّون. إنّ القيامة هي حدث حقيقيّ. هذا التأكيد الإيمانيّ هو ما جاهرت به الجماعة الأولى. عند التئام التلاميذ، "كانوا يقولون: "قام الربّ حقًّا" (لو ٢٤: ٣٤). وهذا ما تردّده الكنيسة ونردّده معها بعمق الإيمان. فالنواة التاريخيّة بالرغم من براهينها الكثيرة، تختلف عن وعي الكنيسة وخبرة الإنجيليّين بالنسبة إلى الحقائق التي تعنيها هذه الأحداث ذاتها. المهمّ بالنسبة إلى لوقا وإلى الإنجيليّين هو في حقيقة القيامة والباقي هو شهادة عن هذه القيامة. ولكنّ هذه الشهادة ليست هي الحقيقة. والظهورات المختلفة هي الأساس في دعم هذه الحقيقة المحوريّة والإيمانيّة بامتياز. يقول رومانو غواردیني: إنّ يسوع "تغيّر بعد القيامة"، لكنّ وجوده لا يزال جسديًّا": "هذا الوجود يختصر كلّ ما عاشه أثناء حياته ومصيره وآلامه وموته".

"وفي خبرة القيامة يظهر الفرق بين الخبرتين: "انخطاف بولس بالروح هو حدث صوفيّ (٢ كو ١٢: ١–٤) ولقاؤه مع القائم من الموت على طريق دمشق هو مع شخص حيّ، وهذا الحدث صنع تاريخًا"[٣].

ثانيًا: مراحل الطريق في مسيرة عمّاوس: طريق خارجيّة وداخليّة

في عودتهما إلى عمّاوس ورجوعهما نحو أورشليم يقطع التلميذان سبع مراحل:

المرحلة الأولى – على الطريق نحو ذاتهما (لو ٢٤: ١٣–١٤)

هذا السفر نحو الذات هو أطول الطرق وأشقاها (داغ هامرشفلد). والطرق على ثلاثة أنواع:

(3) Benoît XVI, *Jésus de Nazareth* II, 2011, éd. du Rocher, p. 308.

أسماها طريق التفكير، وأبسطها المسيرة الخارجيّة، وأصعبها وآلمها الاختبارات الشخصيّة وإمكانيّة التحوّل والتغيرّ الذاتي. إنّ الحياة الإنسانيّة تتغيّر مع صورة الطريق ونوعيّتهما؛ فالمسيحيّون الأوّلون كانوا يسمّون نفسهم "طريقًا" في أعمال الرسل (أع ٩: ٢). والمسيح سمّى نفسه "الطريق" (يو ١٤: ٦)، وقد أسمت المزامير "الطريق" "السالكين في شريعة الربّ" (مز ١١٩: ١). وتستعمل كلمة "طريق" أو "مذهب" أكثر من مرّة في أعمال الرسل. "طريق الربّ" تعني الإنجيل (١٨: ٢٥–٢٦) أو "مذهب الربّ" أي "تعاليمه" (١٩: ٩ و٢٣)، وكذلك يُضطهد التلاميذ والرسل أي جماعة المؤمنيّين لأنّهم يتبعون "مذهب يسوع" (٢٢: ٤). والطريق "مذهب الآباء" و"مذهب الربّ" (٢٤: ١٤–٢٢) أو "مذهب الحقّ" (٢ بط ٢: ٢)، ولوقا جعل من الإنجيل طريقًا.

كلّ هذه المعاني تعني الهدف من سلوك الطريق. وبالنسبة إلى تلميذي عمّاوس، فهما يفتّشان عن حقيقة "يسوع الناصريّ". إنّ الطريق هي مجالٌ للتفكير ووجود معنى للحياة بالتجرّؤ على خلع قناع الشكّ وعدم الإيمان الذي قد يصبح "طبيعة ثانية" تشوّش الرؤية وتؤدّي إلى الضياع والدوران حول الذات. "المهمّ أن يجد أحد ذاته، فلا يعود يخسر شيئًا في هذه الحياة" (استفان زفيك).

يرجع التلميذان من أورشليم ظهرهما نحوها، وهما بحاجة ملّحة للتكلّم عمّا حدث: هو يعذّبهما ويدعوهما للرجوع هربًا إلى عمّاوس. فلا شيء بعد يربطهما بأورشليم مركز انتظاراتهما وأحلامهما. وضعا الآمال والمستقبل على يسوع، فحكمت عليه السلطات المدنيّة والدينيّة والشعب بالموت على الصليب. في قلبيهما تجتمع الانتظارات المخيّبة والعتاب الثائر: كيف؟ ولماذا؟ تلميذان على الطريق في أزمة، قد تكون مفترقًا للطرق.

المرحلة الثانية: "وبينما هما يتحدّثان ويتجادلان، دنا منهما يسوع نفسه ومشى معهما" (٢٤: ١٥).

التلميذان يختلفان على النظرة إلى الحدث الذي لا يُفهم ولا يُصدّق. إنّهما يتقدّمان على الطريق الخارجيّة، لكنّ الداخليّة مقطوعة. في الطريق يلقاهما "غريب" يرافقهما سائرًا معهما. يأخذ يسوع المبادرة ويمشي معهما. إنّه دائمًا البادىء، باللفتة المحبّة المتفهمّة والعطوفة. إنّهما يمشيان، ولذلك مشى معهما. هذه المعيّة علامة المرافقة والقربى والحبّ الكبير: "كلّما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون بينهم" (مت ١٨: ٢٠).

المرحلة الثالثة: ولكنّ أعينهما عميَت عن معرفته (لو ٢٤: ١٦).

إنّ التلميذين هما سجينَا أفكارهما وهواجسهما، ولذلك ابتُليَا بالعمى. أفكارهما مجمدّة في صَلب يسوع. وهذا الصلب يعتبرانه مأساة شخصيّة. فهما لا يريان مَن يمشي بقربهما ويرافقهما. ويقول كسيانوس: "إنّ الإنسان يصبح ما يفكرّ به". وحسب جبران: "إنّ المتفائل يرى الوردة ولا يرى الشوك، والمتشائم يرى أشواكها ولا يرى الوردة".

لقد نسيَا الصليب الخلاصيّ، هذا الصليب الذّي ركّز عليه يسوع لبطرس والتلاميذ بعد التجلّي. هذا الصليب "أبطلاه"، كما يقول بولس، ولم يفهمَا أنّ الصليب درب القيامة، كما ردّده عليهما المعلّم مرارًا.

المرحلة الرابعة: يسوع يضع إصبعه على الجرح. يسألهما بعطف واهتمام: " بماذا تتحدّثان وأنتما ماشيان"؟ (٢٤: ١٧–٢٤).

"يوقف" التلميذان هربهما لأنّهما يلتقيان مَن يفهمهما، فيجابهان وجعهما وضياعهما وشكوكهما ولا يعودان يهربان منها، والتفهمّ أوّل الشفاء. يتظاهر يسوع بأنّه يجهل ما حدث لكي يترك لهما المبادرة، طارحًا استفهامًا استنكاريًّا: "ماذا حدث؟"؛ فيفصح كليوباس عن قناع عدم الإيمان الذي حجب بصيرته: كان يسوع "نبيًّا قديرًا"، وبذلك ينكر بنوّة يسوع للآب وبالتالي قيامته. والأهمّ

من ذلك أنّه يبقى غريبًا عن معنى الصليب الذي هو المحور والأساس، مشكّكًا به كاليهود واليونانيّين. يتساءل فقط: كيف أسلمه جميعهم: الرؤساء والكهنة والزعماء للحكم عليه وصلبه؟ هذا هو التساؤل الجوهريّ والفشل الذريع الذي يعقبه بالرغم من بلوغ "اليوم الثالث" الذي وعد به يسوع بقيامته.

لقد نسي كليوبّاس أو تناسى في سرده عن زيارة النساء إلى القبر أنّ ملاكَين قالا لهنّ: "إذكرن كلامه لكنّ وهو في الجليل حين قال: "يجب" أن يسلم ابن الإنسان إلى أيدي الخاطئين ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم". "فتذّكرن... وأخبرن التلاميذ... والآخرين كلّهم". ولكن "ظنّ الرسل أنّهنّ واهمات، فما صدقوهنّ". فكيف تصدّق المرأة؟

المرحلة الخامسة: رؤيا جديدة: الله هو غير ما نظنّ (٢٤: ٢٥-٢٧).

يسوع أفهمهما أنّ الله ذاته مرّ بالألم؛ فالله ليس إله الشريعة الذي سيخلّص إسرائيل من الرومان... إنّه يحرّر الناس من أثقالهم، وهو حاضر للمرضى والخطأة والمتألّمين، ويتألّم معهم. ليس الصليب رمزًا للخسران بل وسيلة للتوبة إلى حياة جديدة؛ فالقائم من الموت لم يعرفاه أنّه ذاته المصلوب. شكّ التلميذان بمعنى الصليب مع أنّه كان طريقًا لعودتهما إلى الايمان. يقول المعلّم إيكارت: "أحسن وسيلة للقاء الله هو تركه".

وأهمّ وسيلة للقاء الربّ هي فتحه للكتاب المقدّس: "من موسى إلى الأنبياء" و"المزامير" (٢٤: ٤٤). لقد "فتح الربّ أذهان التلاميذ ليفهموا الكتُب المقدّسة". وهنا يردّد يسوع ما تكرّر في الظهورات الثلاثة رابطًا موت المسيح وقيامته بنبوءات العهد القديم التي هيّأت للموت والقيامة.

فالرجوع إلى الكتُب المقدّسة أساسيّ لأنّها "تشرح ما جاء عنه" (٢٤: ٢٧)، أمثال عن بعض ما فيها: النبيّ إيليّا الذي كان يردّد: "حيٌّ الربّ الذي أنا واقف أمامه". هذا ما تذكره رؤيا يوحنّا عن القيامة بلسان "مَن يُشبه ابن إنسان:

أنا الحيّ! كنت ميتًا، وها أنا حيٌّ إلى أبد الدهور" (رؤ ١: ٨)، وعن المسيح المتألّم: "عبد يهوه" (أش ٤٢: ٥٣)، و"تقدمة إسحق" (تك ٢٢)، ونماذج آلام الصدّيقين: "يوسف بن يعقوب" الذي باعه إخوته، "ونابوت اليزرعيلي" شهيد الافتراء، و"أيوب" الذي امتحن بكلّ البلايا. هؤلاء الثلاثة نذكرهم في الليتورجيّا المارونيّة في أسبوع الآلام الذي هو طريق القيامة.

"الغريب" لا يجبرهما بشيء بل يتركهما يقرّران بذاتهما. عندئذٍ يبدءان بالدخول إلى سرّ الحبّ الإلهيّ، ويصبح قلبهما "يحترق" ويتطهّر؛ فالكلمة هي مرآة لحياتنا ولتوقنا العميق الساكن فيها. يفتح قلبهما على الكتُب المقدّسة. اختبر التلميذان الله المخلّص، في لقائهما معه وتأمّلهما في أقوال الأنبياء وتأوينها؛ "فالله يظهر في كلّ علاقاتنا وهو أساسها" (بيار ستوتز)؛ ويقول برنار دي كلارفو: "طريقك ليست ببعيدة، بل هي في قلبك حيث تلتقي الله. في الواقع، كلمته في فمك وفي قلبك".

المرحلة السادسة: و"عند كسر الخبز" انفتحت عيونهما وعرفاه، ولكنّه توارى عن "أنظارهما" (٢٤: ٢٨-٣٢).

بعد رجوع التلميذين إلى عمّاوس يأخذان المبادرة ويُلزمان الغريب على قبول الضيافة: "إبق معنا يا ربّ". لقد تغيّر اهتمامهما بذاتهما وأخذَا يهتمّان به. والربّ قَبل دعوتهما إلى المائدة بعد أنّ "تظاهر" أنّه يكمل الطريق إلى أبعد. لقد جذبهما إليه مَن ليس له اسم.

أ. **الربّ مع تلاميذه على المائدة** مثلما كان قبلاً، مع صلاة البركة حسب الإرث اليهوديّ، ثم مقاسمة الخبز. وبعدها يختفي عن نظرهما الخارجيّ. وهذا الاختفاء يفتح النظرة الداخليّة، "فيتذكّران العشاء السرّيّ" الأخير وما ماثله من تكثير الخبز في جماعة المؤمنين الأوّل "فعرفاه". هذا لقاء استضافة ولكن بطريقة جديدة. في "الخبز المكسور" يظهر لهما يسوع مع "حبّه حتّى الغاية"

(يو ١٣: ١)، ولكنّه فقط عندما "يختفي" يتعرّفان إليه. إنّ يسوع ليس "روحًا" كما يتوجّس التلاميذ ولا شبحًا"، ولكن له "جسم وعظم" (لو ٢٤: ٣٦–٣٩).

– **ولقاء التلميذين مع يسوع حول المائدة** يشبه ما نجده في يوحنّا (٢١: ١–١٤)، وفي الظهور للتلاميذ في العليّة (يو ٢٠: ١٩–٢٣) في الحبكة ذاتها.

– في دعوة ثالثة إلى المائدة يدعو يسوع التلاميذ في أعمال الرسل (١:٣–٤)، "يأكل معهم أي "يمالحهم"، بما لهذا المعنى من مفهوم كتابيّ. الملح كفيل بالديمومة والإبقاء على الحياة. وهذه الممالحة، في عرفنا، دليل الصداقة والحبّ في علاقات حميمة.

– وهذه العلاقة تظهر في أوجها في رؤيا يوحنّا: "ها أنا واقف على الباب أدقّه. فإن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب دخلت إليه وتعشّيت معه وتعشّى هو معي" (٣: ٢٠).

ب. العشاء يصبح علامة حضور الربّ. لقد استعاد التلميذان بصيرتهما وازدادت فيهما الثقة بأنّ يسوع حيّ وهو يرافقهما في طريق حياتهما. المرافقة، والتساؤل، والمحادثة، والثقة الإيمانيّة، هي العلامات التي تقود إلى "كسر الخبز" الذي فتح أعينهما.

وكلمة "كسر" تُذكر أكثر من مرّة في القداس المارونيّ ومنها في الكلام الجوهريّ السريانيّ مرّتين: قْصُو ومِتقصِي؛ "فالليتورجيّا والطقوس لا تفيد فقط في تركيز أيّامنا وأعيادنا. ها علامات لتأوين الذكرى (mémorial)، وهي تزرع في قلوبنا وفي داخلنا ما فهمناه بعقلنا. تذكّرنا أنّ الله معنا وفينا. الليتورجيّا هي مكان لقاء مع ذاتي ومع الله" (إنسلم غرون، GRÜN).

المرحلة السابعة: الرجوع متغيّرَين (لو ٢٤: ٣٣–٣٥).

عمّاوس نهاية وبداية. يرجع التلميذان بفرح لأنّهما وُلدا من جديد وكأنّهما

يطيران نحو أورشليم بالرغم من الليل والتعب وضنى النهار. بدل اليأس يحوّلان أورشليم إلى "وعد": "المسيح قام حقًّا". وهما "قاما" بهذه الحياة المقامة، وبموهبة من قوّة القيامة، مردّدين في قلبيهما: نرجع إلى "أورشليم العليا" التي تركناها (مت ٥: ٣٥)، إلى "أورشليم التي هي أمّنا جميعًا" (غل ٤: ٢٦).

من الحبّ الذي "اشتعل" في قلبيهما محوّلاً الرماد إلى نار، تنبع محبّة الإخوة. إنّهما يفتشّان عن رفاقهما جميعًا، "فوجدَا الرسل الأحد عشر ورفاقهم مجتمعين"، "فأخبراهم بما حدث في الطريق، وكيف عرفَا الربّ عند كسر الخبز".

"تقاسم الكلمة" و"تقاسم الخبز" يعيدان اللحمة بين الجماعة والرجوع إلى الحقيقة معًا. من هذه الحقيقة، ينبت تقاسم الخبرة والشهادة: "فأخبراهم بما حدث".

إنّ مغامرة التلميذين المعكوسة تتحوّل من الظاهر الملتبس في أوّل المسيرة إلى لعبة بين الظاهر والواقع؛ فالبشرى الجديدة هي "كنزٌ مخفيّ" يتطلّب حفرًا عميقًا لكي نجده، وبالتالي التخلّي عن كلّ أوهامنا وأوهاننا تجاهه.

ثالثًا: ماذا يريد لوقا من قصّة التلميذين وهي تتوسّط ظهور يسوع القائم لحاملات الطيب (٢٤: ١–١٢) و"الظهور للتلاميذ" تثبيتًا لقيامته (٢٤: ٣٦–٤٩)؟

١– قصّة التلميذين هي قبل كلّ شيء تأوين لخبرة القيامة في حياتنا الخاصّة بل في يوميّاتنا؛ فالإيمان مسيرة نحو الهدف الأساسيّ: كلمة الله والإفخارستيّا.

أ. وفي هذا الشأن تجاوب التلميذين يهدينا على الطريق في محطّات محوريّة.

– المحطّة الأولى: "أمَا كان قلبنا يحترق في صدرنا حين حدّثنا في الطريق

وشرح الكتُب". وتحضرنا هنا كلمة بطرس في رسالته الثانية وهو يقارن بين هذه الخبرة (٢٤: ٣٤) وخبرته هو على الجبل المقدّس في التجلّي بين موسى وإيليّا حيث سمع صوت الآب يتبنّى الابن الحبيب. ويردف: "فازداد يقيننا بكلام الأنبياء، وأنتم تفعلون حسنًا إذا نظرتم إليه كأنّه سراج منير يضيء في مكان مظلم إلى أن يطلع النهار ويشرق كوكب الصبح في قلوبكم" (٢ بط ١: ١٩–٢١).

– **المحطّة الثانية:** بعد تفسير يسوع للكتُب يُطيل إقامته بناءً على طلب التلميذين لكي يُعيد رسم الإفخارستيّا: "إبق معنا يا ربّ...". مَن منّا بعد نهار متعب لا يمكنه أن يختلي ليفتح "الكتاب"؟ إنّه طعام يكمّله الخبز. وتقاسم الخبز كان جوهريًّا على مائدة الكنيسة الأولى حيث كان التلاميذ يجمعون بين أربعة عناصر هي الأساس في حياة الكنيسة والحياة الرهبانيّة: "كانوا يداومون على الاستماع إلى تعليم الرسل، وعلى الحياة المشتركة، وكسر الخبز والصلاة" (أع ٢: ٤٢).

وبولس في رسالته الأولى إلى كورنتوس يشهد لهذه العناصر: "كأس البركة التي نباركها، أمَا هي مشاركة في دم المسيح؟ والخبز الذي نكسره أمَا هو مشاركة في جسد المسيح؟ فنحن على كثرتنا جسدٌ واحد لأنّ هناك خبزًا واحدًا، ونحن كلّنا نشترك في هذا الخبز الواحد" (١ كو ١٠: ١٦–١٧).

ب. هذه القصّة كتبها لوقا للذّين تخلّوا عن التزامهم في اتّباع المسيح. إنّ خبرة القيامة من خلال قراءة الكتب وكسر الخبز تعطيهم النعمة لمتابعة الطريق واتّباع المسيح القائم.

وهذه القصّة هي مرآة لتاريخنا نحن مع القيامة؛ "فالجوهريّ هو مخفيٌّ عن العيان". يسوع يمشي معنا على الطريق، وهكذا يصنع مع لوقا وهو يكتُب ما جرى.

أمَا لهذا أُسميَ تلاميذ يسوع "الكلمة" كما ورد في أعمال الرسل؟ "وكان كلام الله ينتشر وعدد التلاميذ يزداد كثيرًا" (أع ٦: ٧؛ ٢٤: ١٢؛ ١٩: ٢٠)، لأنّ

القائم هو في الكلمة.

٢– قصة عمّاوس لا تزال تحكينا اليوم بمدلولاتها الروحيّة واللاهوتيّة والأدبيّة:

أ. **المدلولات الروحيّة واللاهوتيّة**: في الطريق كان يسوع حاضرًا في الأعماق التي تفتّش عنه، فاتحًا الكتُب ومنسابًا فيها. إنّه "الغياب الملتهب" في الكتاب المقدّس، كما يقول ماتورا(٤)، ممثّلاً العراك مع الإله الحيّ من سفر التكوين حتّى عرس الحمل الملوكيّ في رؤيا يوحنّا. هذا العراك هو عراك حبّيّ: "قلبي وجسمي يرنّمان (يصرخان) للإله الحيّ" (مز ٨٣: ٣). يسوع قدّم حياته عنّا لتكون خبزنا، خبز قيامتنا ابتداءً من اليوم. وكلمته فينا كعلّيقة موسى الملتهبة (خر ٣: ١–٦). هذه الكلمة هي تخاطبٌ بين محبّين: "موسى، موسى" – "هاأنذا". موسى التقى ليس الله فحسب بل المسيح من خلاله. ليست كلّ ظهورات العهد القديم تجلّيات لله الآب وحده، "لأنّ الله لم يره أحد" (يو ١: ١٨)، بل من خلاله المسيح المستبق التجسّد، الله الكلمة الأزليّة. في لوحة بازيليك القدّيس مرقس في البندقيّة نقرأ ملامح المسيح على وجه الله الخالق. وعندما رأى أشعيا الله "جالسًا على العرش" (أش ٦: ١)، وحزقيّال بين الدواليب والأربعة أحياء، رأيَا "شيئًا يشبه الإنسان"، هو المسيح الكلمة ما يبصره الإثنان.

قال الله لموسى: "إخلع نعليك من رجليك"، أي تخلّ عن أثقالك وبطئك. وكذلك وبّخ يسوع التلميذين في المسيرة معهما عن "قلّة الفهم والبطء في الإيمان".

ويبقى **النصّ اللاهوتيّ** هو الجوهر في هذا اللقاء. إنّه ترداد للغة الصليب (٢٤: ٢٦): "أمَا كان "يجب" على المسيح...؟" (٩: ٢٢ و١٧: ٢٥). كلّ خبرة "الحضور في الغياب" وكلّ كلمة "تلهب قلبنا" وكلّ إفخارستيّا نشارك فيها

(4) Thadée MATURA, *Une absence ardente*, Médiaspaul, éd. Paulines, 1988.

تحيينا من الموات وتفتح طرقنا المسدودة ولو "ليلاً".

ما هو المعنى من هذا اللقاء؟ "لماذا"؟ أعمق من المعنى استحال الخبز إلى المسيح. هذا ما كان يتوق إليه تاريخ الوحي، الذي اختصره يسوع على الطريق. موسى والأنبياء ويسوع والفصح، كانت كلّها من أجل هذا الخبز "لكي تكون للإنسان الحياة وتكون أوفر" (يو ١٠).

كان كلام الربّ في الطريق قد وضعه يسوع في قلبيهما، بينما الخبز يضعه في عيونهما وأيديهما. وفي حياة مَن يكرزون بها؛ فالكلمة سرّ الإنجيل ومرآة الكنيسة عندما تبشّر به.

وليس من العجب أن يكون الفنّانون دهشُوا لهذه الدرجة بهذه اللوحة، فمثّلتها لوحات لا عدد لها.

ب. **المدلولات الأدبيّة**: قصّة تلميذي عمّاوس تحفة أدبيّة من الطراز الأوّل في تركيبتها وسياق أحداثها وفي طرُق الوصول إلى الهدف. تركيبتها سرديّة تتخذّ شكل الهرم. على رأسه يرتكز الأساس: الصليب طريق القيامة (٢٤-٢٦)، وعلى جانبيه يتوازى الهبوط إلى قعر اليأس ثم الصعود إلى الفرح والرجاء.

بين الشكّ واليقين والنساء اللواتي "أخبرن" والتلميذين اللذين "أخبَرا"، يترنّح النصّ ويتغيّر بين "تعجّب" بطرس أمام القبر ليس إلاّ (٢٤: ١٢)، وبين تأكيد الرسل "أنّه ظهر لسمعان" في آخر قصّة عمّاوس، وما ذكره بولس "أنّ المسيح ظهر لبطرس ثمّ للرسل" (١ كو ١٥: ٥). هذا التركيز على بطرس يلفت النظر إلى أولويّته مع عدم وضوح ظروف هذا الظهور .

في هذا السرد القصصيّ بعض العناصر المستغربة: "كنّا نأمل!"، والتلميذان يهجسان فقط "بتحرير الشعب" من الرومان. تظاهر يسوع بالجهل: "ماذا حدث"؟ ثم تظاهر كطريقة لاستمالة التلميذين. وأين تقع عمّاوس بين عدّة

قرى ممكنة؟ الخماسيّة" أو "القبيبة؟" أو "ياريم" (أبو غوش) أو "أرطاس"؟ وعمّاوس (عمواس)، هل هي بعيدة عن أورشليم ٦٠ غلوة أم ١٦٠ حسب البعض؟ ثمّ مَن هو كليوبّاس (كليوباترس)؟ هل له علاقة مع كليوبّا (يو ١٩: ٢٥)؟ ومَن هو رفيقه؟ بأيّ طريقة يقاس الزمان ويتأكّد المكان؟

كلّها أسئلة تجعل النصّ خارجًا عن الطريقة القصصيّة العاديّة، بل هي تركيز على الجوهريّ في تدرّج منطقيّ ومميّز.

الإفخارستيّا التي "تفتح العيون" هي سرّ المحبّة. إنّه المحبّة التي ليست إلاّ محبّة. هذا الخبز المكسور هو وحدة الله والإنسان في المسيح والأساس في بناء الجماعة. التلميذان يتقاسمان الكلمة مع المسيح في الكتاب المقدّس ويتقاسمان الخبز كما في القدّاس. ونحن نتقاسم الخبز مع الجائعين والفرح مع الإخوة، نشارك الناس في مالنا ووقتنا وثقافتنا وحضورنا. نحن مع الكنيسة وفيها كقوّة رجاء قريبة من كلّ حالات الألم والظلم كما هو حاصل في منطقتنا؛ "فالحياة لا تتوحّد إلاّ لتوهب"، كما يقول بيغي (Péguy). الصلة عمية بين ما نعيشه على "المائدة" وما نحقّقه في الأخوّة البشريّة: "قام عن العشاء وغسل... أرجل التلاميذ" (يو ١٣).

في "قبلة" النحّات رودان، الحبّ والمحبّة محفوران في كتلة صخرٍ واحدة. "أيقونة تلميذي عمّاوس لحظة فرح آتية من القيامة، ولا عجب أن تُذكر في "بدء الأسبوع"، في ليتورجيّا فصح وعبور وبداية انطلاق نحو "المحبّة الكاملة".

مراجع

فاريون فرانسوا، "الإفخارستيّا يلخّص كلّ شيء"، في: **فرح الايمان، بهجة الحياة**، ترجمة دار المشرق، بيروت ٢٠١٠، ص ٢٩٩–٣١٧.

Barlet Louis et Guillermain Chantal, « Le jour de Pâques:

Emmaüs », in: *Le beau Christ de Luc*, Lire la Bible, Cerf, Paris 2007, p. 145-158.

Benoît XVI, *Jésus de Nazareth*, II, éd. du Rocher, 2011.

Brown Raymond, *Que sait-on du Nouveau Testament?*, Bayard, 2000.

Grün Anselm, Müller Peter, *Jeûner avec le corps et l'esprit*, Salvator.

Marguerat Daniel, « L'unité de Luc-Actes. Un travail de lecture », in: *La première histoire du christianisme. Les Actes des Apôtres*, LD 180, Labor et Fides, Genève, Cerf, Paris, 1999.

Matura Thadée. *Une absence ardente*, éd. Paulines, Médiaspaul 1988.

Petitfils Jean-Christian, *Jésus*. Fayard, 2011.

Ricoeur Paul, « Comme si la Bible n'existait que lue…», in : Mélanges Beauchamp, *Ouvrir les Écritures*, LD 162, Cerf, Paris 1995, p. 21-28.

Stuzmann Françoise, « Qui va donc te guérir? Aujourd'hui la guérison intérieure », in : *Jésus avec les disciples d'Emmaüs*, éd. des Béatitudes 2006, p. 147-148.